القلق الوجودي في شعر ابن الرومي

قصيدة ذم الزمان نموذجاً

محمد باقي. جامعة سيدي بلعباس

ثبت القصيدة

ومن يلق ما لقيت فى كل مجتنى
من الشوك يزهد فى الثمار الأطايب

أذاقتنى الأسفار ما كرّه الغنى إلىَ
وأغرانى برفض المطالب

فأصبحت فى الإثراء أزهد زاهد
وإن كنت فى الإثراء أرغب راغب

أخاف على نفسى وأرجو مفازها
وأستار غيب الله دون العواقب

ألا من يرينى غايتى قبل مذهبى
ومن الغابات بعد المذاهبِ

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة
رهبت إعتساف الأرض ذات المناكبِ

وصبري على الافتداء ايسر محملا
عليَ من التغرير بعد التجاربِ

لقيت من بر التباريح بعدما
لقيت من البحر ابيضاض الذوائب

إلى الله أشكو سخف دهري فانه
يعابثنى من كنت غير مطايبى

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت
برحلى أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلى فاضحت مزلة تمايل صاحبها تمايل شارب

لتعويق سيري أو دحوض مطيتى واخصاب مزور على المجد ناكب

وجربت حتى ما أرى الدهر مغريا على بشيء لم يقع فى تجاربى

أرى المرء من يلقى التراب بوجهه الى أن يوارى فيه زهى النوائب

ولو لم يصب إلا بشرخ شبابه لكان قد استوفى جميع المصائب

الى الله أشكو عتمة لاصباحها ينير ولا تنجاب عنى لصائب[1]

يعد هذا النص الشعري لابن الرومي، نموذجا يصلح لاستخلاص الملامح المميزة للشاعر شكلا، وصياغة، ومضمونا، ومحتوى فكري ووجداني، وإذا كانت هذه الملامح سمة مميزة لجميع الشعراء الذين عبروا عن دواخل أنفسهم تعبيرا صادقا، وأصيبوا بنكبات في هذا الوجود الذي أصبح بالنسبة لهم هاجسا يعوق مسيرات حياتهم، ويدفع بهم إلى الاغتراب عن وطنهم ومجتمعهم.

فإنّ شاعرنا ينفرد دون كثرتهم بخاصية هامة تذل على غزارة الينبوع الذي تصدر عنه رؤيته الشعرية، وهي طول النفس، فالتدفق الشعري سمة بارزة في معظم القصائد حتى أن بعضها وصل إلى ما يقارب ثلاث مئة بيت ومن ثم يمكن أن يتحول شاعرنا إلى رمز من رموز الملحمة أو المأساة الدرامية، و هذا نظرا لحدة إحساسه

والغوص في أغوار أو الزوايا المعتمة لتفجير الرؤيا الخفية التي تسكن ذاته القلقة والتي تتأرجح بين الفراغ و الغربة.

خيبة الأمل

ومن يلق ما لقيت فى كل مجتنى — من الشوق يزهد فى الثمار الأطايب
أذاقتني الأسفار ما كره الغنى — الي وأغراني برفض المطالب

فأصبحت في الإثراء أزهد زاهد — وإن كنت في الإثراء أرغب راغب [2]

في هذه الأبيات يبدع الشاعر في التعبير عن مأساته التي يعيشها ويعاني منها، فيعبر عنها بصورة واضحة تكشف عن إحساسه بها، فهو أسير التساؤلات الحائرة التي لا يجد لها جوابا، إن القدر الدائم يطارده هو شؤم إليه ليسائل نفسه عن مدى ما يلاقيه في هذا الوجود من عذاب، وشقاء، ويؤكد أن لا أحد لاقي ما لقاه في هذه الحياة من تعاسة وحزن ومكاره، حتى زهد من اللذائذ والطيبات الحياة التي أنعم الله بها على المخلوقات، وهذا ما ولد لديه حالة من الاكتئاب والهواجس، ((ولبن الرومي حالات يكون فيها متناغم النفس والجسد، بريء من الهواجس والاستئام، راضا عن القدر، فيعرض له صديقا بإساءة أو عتب مر، أو ما يثير في النفس ويقلق البال، فيقف ابن الرومي من كل ذلك هشوشا بشوشا يمد يده الى قلبه المترع سماحا وعطفا فيستخرج منه دررا طيبا يملأ به الأفق طيفا مستجيبا ذلك هو قلب رجل الفنان المنفتح على أبعاد

الوحدة المطلقة))[3] لم يكن ابن الرومي مثل عامة الناس بل كان غريب الأطوار مكفهرا مكتئبا وهذا نظرا للمحن والنكبات التي ألمت به في فترات حياته.

كل ما تعلمه عن نحافته وتقزز حسه وشيخوخته الباكرة وتغير منظره، وإسترساله في الوجوم اختلاج مشيته، وموت أولاده وطيرته ورقته وشهوانيته الظاهرة في تشبهه وهجائه، وإصرافه في أهوائه ولذاته ثم كل ما تطالبه بثنايا سطوره من البدوات والهواجس، قرائن لا تخطئ فيها الدلالة الجازمة على اختلال الأعصاب بل لا تخطئ فيها الدلالة على الاختلال والشذوذ. [4]

إن العقاد صاغ أحكامه حول شخصية إبن الرومي النفسية من خلال شعره فيقول واصفا إياه"يحتضر الخوف ويكرر التوجس ويختلق الأوهام" [5] وهذا ما يؤكد في نظر العقاد أن ابن الرومي كان لديه استعداد للقلق، والاكتئاب كما نعلم هما اضطرابات نفسيان يشلان من الحركة ويبطئان التفكير، ومن أهم العوامل النفسية التي تحدث هذا المرض : الاضطرابات والصدمات النفسية التي يعيشها المريض، منذ الطفولة وعلاقته مع المجتمع الذي يعيش فيه والصراع الدائم مع الانفعالية وصعوبة التوافق والتكيف إلى الإحباط الموصول، والشعور بنقص المكانة الاجتماعية، وفقدان عزيز وهذا ما ينطبق على شاعرنا لان هذه الأسباب كلها قد اجتمعت فيه فقد أمه، والده، وأخيه الذي كان يعوله ثم الزوجة وابنه الأوسط، وهذه النكبات قد أثرت فيه تأثيرا واضحا، وهذا ما نلاحظه مخيما على معظم هذه القصيدة والتي نحن بصدد دراستها، بالإضافة إلى ذلك فان هذه العوامل السابقة قد ولدت لديه روح الاغتراب عن المجتمع، ومن

كرهه والتشاؤم منه، ومحاولة الانعزال عنه ((لأنه ولد مقضيا عليه بالفشل، وعاش في زمن لا رحمة فيه كمثله، ووجب أن يترك لقضائه أن يصنع ما لا حيلة في دفعه)) [6].

إن الشاعر قد أتعبه السفر في طلب الغنى، ومل من الحياة التي يشقى فيه الإنسان بدون فائدة ترجى من ذلك فما جدوى التعب واللهاف وراء المال، وفي نهاية المطاف مآله إلى الموت، الذي لابد منه مهما حاول الإنسان الهروب منه.

إذ أفنتني الأسفار ما كره المغنى

إلى و أغراني برفض المطالب [7]

يصور هذا البيت مبلغ ما يعانيه الشاعر منس خط على هذا الوجود الذي يؤدي الى تدمير ذاته وتكبيله، ومن ثم زهده في طلب الغنى.

وكلمة الغنى تذل دلالة واضحة على الرفاهية، وما يرتب عنها من أدوار الزينة والفتنة واللهو والمرح فهو بهذا أراد الابتعاد عن مغامرة الأسفار في هذا الطلب السخيف، ورضي بقدره ومن ثم دخل في الاغتراب والشجون، مستأثرا بهمومه التي تلاحقه في كل مكان موقعا على قيتارة غربته النفسية لحنا مبتعدا عن الأسفار التي لا تجلب له إلا الهموم وهذا بحكم التعب والمغامرة التي قد تكون فاشلة في اكثر الأحيان، وهذا ما يؤكده البيت التالي:

فأصبحت في الأثرياء أزهد زاهد

وان كنت في الإثراء أرغب راغب[8]

إذا تأملنا هذا البيت يظهر لنا الشاعر قد زهد في طلب المال والغنى، لأن هذا لا يجلب له إلا الشقاء والتعاسة والتفكير المستمر في الطرق والوسائل التي يمكن بها جلب المال.

فالشاعر قد قام بأسفاره عديدة، ووقف على أبواب الحكام حتى ينال عطاياهم، ولكن هذا السفر لم يجلب له في النهاية إلا الحزن والبؤس.

الإحساس بالقلق واليأس

أخاف على نفسي وأرجو منازها

وأستار غيب الله دون العواقب

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي

ومن أين والغابات بعد المذاهب [9]

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة

رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب

إن هذه المخاوف التي يعاني منها الشاعر تطرح لديه إحساسا شديدا باللاأمن، وهذا ما جعله يرجع إلى نفسه، فيؤكد أن الله هو الذي يعرف مصير الشاعر، ولا أحد غيره إنه فعلا إحساس باللاأمن من هذا الوجود، فالإنسان بطبيعته عندما تنتابه لحظات يأس وقنوط ويحس باغتراب داخلي، يهز كيانه القلق في هذه اللحظة لم يجد إلا حلا واحدا وهو الرجوع إلى الله، وهنا تكتسي شخصية الشاعر طابقا متميزا يجعلها تدخل في إيمان صادق يشبه إلى حد بعيد إيمان الصوفيين فتظهر لنا بواعث الحزن، والكآبة التي غلبت على نفسية شاعرنا.

وهكذا نستطيع أن نلاحظ ملاحظة واضحة ظاهرة التشاؤم التي يتسم بها كل ذي حس مرهف، ومنه شاعرنا الذي أبتلي بكل المصائب والنكبات التي أثقلت كاهله، وجعلته ينوء تحت حملها حتى أصبح يتساءل تساؤلا فلسفيا:

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي

ومن أين والغابات بعد المذاهب [10]

إنه فعلا تساؤلا فلسفيا عن وجود الإنسان وغايته التي يطمح إليها، إن هذا الإنسان هو عبرة للعبر،وحيرة الحير، بحيث لا يعرف لأهدافه ولا غايته، ولا يعرف مصيره ولا ما يخبئ له القدر المحتوم.

فالشعر حائر لا يهتدي، وهذه الحيرة ناتجة عن التفكير في المصير، في أحوال نفسه، تنازعه رغبات مختلفة. تسمو به إلى العلا، وحيرة تكاد تضنيه فلا يجد لها حلا إلا بتوكيل أمره إلى الله. إنها أسئلة فلسفية يبحث الشاعر من خلالها عن وجوده عبر رؤية ميتا فيزيقية. أصبح الاغتراب الإطار الجوهري لها.

إن الخيط الذي يربط الشاعر بنفسه، هو خيط يتجاوز الكشف عن الرغبات المكبوتة والأمراض النفسية إلى الخيوط والركائز التي تربط الإنسان بماضيه وحاضره ومستقبله ((فالظروف والأحوال النفسية ليست من قبل الفرص السامحة، فهي تمكن من خلق الأثر الفني ولكنها لا توفر المادة التي يصنع منها هذا الأثر))[11]

إن الناقد الأدبي إذا أراد معرفة حالة الشاعر وخاصة كحالة شاعرنا عليه أن يتسلح بالمنهج النفسي حتى يمكنه أن يعرف نفسية الشاعر، ومن ثم عليه أن يتسلح بالمنهج النفسي حتى يمكنه أن يعرف نفسية الشاعر، ومن ثم الاغتراب عن مجتمعه

وانعزاله ((فالناقد الأدبي وإن اعتمد على نتائج علم النفس الحديث، فانه لا يبحث عن تشخيص المرض، ومن ثم فهو لا يستعمل الأثر الفني مادة ترمي عندما يصل إلى الحقيقة وان الطيب يحاول دائما أن يتجاوز العرض، ولكن عندما يصبح العرض عملا فنيا، فان هذا العمل الفني هو الشيء الوحيد المهم، منه نبدأ واليه نعود)). [12]

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة

ذهبت اعتساف الأرض ذات المناكب [13]

إن الشاعر يطرح قضية مهمة بالنسبة إليه وقد شغلت باله وفكره، ولم يستطيع التخلص منها، إنها النكبات المتتابعة، والمصائب المتتالية والتي جعلت منه هدفا حساسا فأصابته بسهامها، وهذا ما أثر عليه تأثيرا كبيرا فأصبح قلقا متبرما، من ضرورة هذا الوجود وفي دائرة هذه الضرورة تنبثق مأساة الفرد، وتبدأ المأساة، من وجهة نظر التحليل النفسي.

فالإنسان مضطر في سبيل تحقيق التوافق الاجتماعي، أن يحل مبدأ الواقع محل اللذة ويدعى لسلسلة طويلة من الإكراه والإلزام، والمنع، وتتشكل من ثم سلسلة من الحرمات هي السبب لنشوء الصراعات الاجتماعية.

ولعل هذا ما ترك روسو أن يقول العبارة الشهيرة ((ولد الإنسان حرا، إلا أنه مكبل بالأغلال في كل مكان)). [14]

فالإنسان مهما كانت صفاته وأحواله النفسية يريد أن يحقق مبتغاه، ويخطط لمستقبله حتى ينال الهدف المرجو الذي يريده، والمجتمع السليم هو الذي يوفر له الطرق حتى يحقق هذا الهدف، ولكن شاعرنا وجد نفسه أمام قدر لم يرحمه فتسلطت عليه

كوابيس الإرهاق وأصبحت نتيجة لذلك، يعاني وضعا اجتماعيا لا يحسد عليه، كل هذه العوامل أثرت على نفسيته المتكسرة، فأصابه نوع من الوسواس والطيرة.

((إن الطيرة الشديدة في ابن الرومي، عارضا من عوارض الشيخوخة وانه أفرط فيها بعدما ابتلى بالآلام والأحزان، وساورته المخاوف من كل جانب))[15] .

وقد أكد العقاد أن طيرة ابن الرومي ظاهرة طبيعية يشاركه فيها معظم من هم في سنه، والعقاد يعود مرة أخرى ويجزم أن طيرته، جاءت نتيجة لطبيعة غريزية في نفسه فهي ناشئة عن غريزة الخوف من المجهول، وهذا نظرا لما أصابه من المحن والنكبات، وفي نظري أن أسباب الهجاء كانت واحدة من العوامل سابقة الذكر.

مع أنه ((لم يكن شريرا ولا رديء النفس، ولا سريعا إلى النقمة فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتد وقوعه في أعراض مهجوويه، وكان ذلك قليل الحيلة، طيب السيرة، خاليا من الكيد والمراوغة، والدسيسة وما شابه هذه الخلائق من أدوات العيش في مثل عصره))[16].

ومن هنا يتضح لنا الهجاء عند ابن الرومي كانت لتبرم بالحياة والناس ووسيلة هامة للنيل من خصومه وأعدائه.

و((تضم الأهاجي المقذعة عدة قصائد طويلة تشتمل على أفحش وأعنف ما يمكن من سبب وهي عادة تهاجم مهاجمي ابن الرومي، أي أولئك الذين سبقوه، أو نقدوه في ملبسه أو مسلكه أو شعره أولئك الذين أثاروا الكراهية بأمر ما) [17]

إن الشاعر في الأبيات التالية يحصى المصائب التي تلاحقه في كل مكان سواء في البر أو البحر فيقول:

وصبري على الاقتدار أيسر محملا

علي من التغرير بعد التجارب

لقيت من البر التباريح بعدما

لقيت من البحر ابيضاض الذوائب

إلى الله أشكو سخف ذهري فانه

يعابثني منذ كنت غير مطايبي[18]

نلاحظ من خلال هذه أن الشاعر قد جرب الحياة ولكنها لم تذقه إلا المرارة، الهزيمة والفشل. وفشل الشاعر ونوعية هذا الفشل هو الذي يزيده اتساعا الأفق وتوقدا في العبقرية وهكذا يحاول النويهي أن يقرن العبقرية بالجنون [19]، وأعتقد أن الذي يقصده النويهي ليس بالمرض العقلي، بمعناه الواسع أي الذي ينتهي في غيابه كل خلق وإبداع، ((فهو الوحيد بين الأمراض جميعا الذي لا ترتسم خطوطه أو تبرز ملامحه في لقاء خالص مع الطبيعة فحسب، و إنما الوحيد الذي يؤكد كذلك هويته ويكتسب فنه في الوجود، أو بالأحرى في اللاوجود إطار ثقافي)). [20]

ومن هنا يظهر لنا أن هناك علاقات لا عقلانية تربط بين عملتي الخلق الفني والإلهام في صورة موحية من الدفعات الجياشة التي يهتز لها الكون بأسره ولا يستقر للنفس المبدعة لها قرار إلا بعد وصولها إلى حالة من النشوة الغامرة.

إن تجربة الجنون تجربة قاسية مريرة، إلا أن بعض النوابغ من الفنانين والكتاب، استطاعوا أن يحولوها إلى طاقة إبداعية هائلة، وان كان ذلك على حساب حياتهم ونظير معاناتهم وآلام لا قبل لشخص عادي بها، وليس من شك فان قدرة هؤلاء

المبدعين على تجاوز محنتهم وإظهار الجوانب الخفية منها ونشرها والبوح بها أمام الملأ تكون عونا لهم في التنفيس عن أمراضهم الداخلية التي يعانون منها.

يبدوا لنا شاعرنا يعاني نوعا من الكبت المدفون والأحزان المتراكمة التي تحطم ذاته فيصيح قائلا.

لقيت من البر التباريح بعدما

لقيت من البحر ابيضاض الدوائب [21]

إنها فعلا معاناة ما بعدما معاناة، فالهموم المتراكمة قد خيمت عليه من كل الجوانب، وكأنه قد حمل أثقال الكون كله من بر، وبحر وهذا التعبير واضح عن التية وحس الاختناق، والاحتجاب، والانبهار من هذه النكبات التي تلاحقه وهذا ما تؤكده الألفاظ التي تدل دلالة واضحة عن قلقه المستمر وتبرمه من الوجود بأكمله مثل: "البر، البحر، التباريح، الاقتدار، الفاقة، والحاجة، التغرير، كل هذه الألفاظ تدل على الإحباط واليأس وتفاهة الوجود.

إن ابن الرومي في هذا البيت يظهر لنا وكأنه يعيش حياة غير آمنة، والكاشف الأساسي بالأمن، قسوة هذا الوجود، الذي يهاجمه من كل جهة، إذن نحن إزاء شاعر يعاني مرضا داخليا يكاد يؤدي إلى الجنون.

إنه يعيش حياة متألمة باكية لا تكاد تنتهي وقد وجد نفسه إزاء قدر محتوم سلط عليه جميع المصائب، والنكبات، التي لا تنتهي فأرهقته وجعلت منه إنسانا يائسا مغتربا عن مجتمعه كافرا بالوجود وبالناس جميعا، وهذا ما ولَّد لدى شاعرنا قلقا وجوديا.

إن إعادة بناء الحياة النفسية لهذا الشاعر، باستعانة أسس علم النفس تحتاج إلى الدقة والى الكثير من الحذر ((إنك لا ينبغي أن تقول كان ابن الرومي مختل العقل، أو كان مختل الأعصاب أو كان كثير المخاوف أو كان جامح الخيال دون تعرف ما العقل وما الأعصاب وكيف تغتل وكيف تنشأ وما معنى جموح الخيال وقس ذلك سائر القريرات عن ابن الرومي)). [22]

ويبدوا من خلال هذا أن المجتمع هو الذي تسبب في اغتراب ابن الرومي وحوله إلى إنسان مريض نفسيا وأنى للسعادة في عالم الاغتراب وضياع الإنسان واضطراب القيم والمبادئ مع انبثاق الشعور الذاتي.

إن اغتراب شاعرنا في مجتمعه هو الصورة الحتمية والموضوعية وهذا ما رسمته لنا هذه الأبيات :

إلى الله أشكوا سخف دهري

فانه يعابتني منذ كنت غير مطايبي

أبي ان يغيث الأرض حتى إذا ارتمت

برحلي أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من اجلي فأضحت مزلة

تمايل صاحبها تمايل شارب [23]

هنا نجد الشاعر يتجه إلى الله ليشكو له سخف القدر الذي يلاحق الشاعر، ويحاول أن يدمر حياته وقد أقام أسلوب الاحتراس هنا بدور المؤشر البارز إلى حور الانفعال ودرجة الصراع.

ذلك أن اجتماع صفات الدعوة والإجابة، قد يلازمها رغبة وحرص وفي هذا ما لا يخفى من خلال هذا التصوير الذي من شأنه أن يحمل إشارات بارزة إلى المشاعر المتناقضة المرتبطة بالجانب الانفعالي من هذا القدر الذي يعاكس الشاعر في ما يرغبه ويطلبه ويتمناه، ومن خلال هذا الموقف من القدر يجد هذا الانفعال النفسي فرصة لتجسيد الكثير مما يتعلق به مجالات شعورية متضادة ومتلائمة بالرغم مما تحمله تكرار، كلمة "الغيث" من دلالات نفسية متصلة بالبهاء والازدهار إلا أن ما ارتبط بها ذلك من مجالات الوصف المتعددة قد تتضمن مجموعة من العناصر التي تدعوا ظاهريا معبرة عن حالة الزحم الشعوري على الرغم من أنها متضمنة الكثير من مشاعر الصراع بين تلك المشاعر وما يناقضها.

فالشاعر لا يملك إزاء هذا القدر إلا أن يتعامل معه بشيء من الحيطة والقدر، وهذا الإنهاك هو ما يدفعه إلى التضرع ألي الله وطلب النجدة منه ومحاولة الاستغاثة به، ون هنا يمكن القول بان الوجود بالنسبة إلى الشاعر يدفعه كذلك إلى الكآبة والحزن، واليأس من هذه الحياة. وهذا ما نلاحظه من خلال هذين البيتين:

أبي أن يغيث الأرض حتى إذا ارتميت

برحلي، أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلة

تمايل صاحبها تمايل شارب [24]

ففي البيتين ينكشف الموقف على هيئة صراع مضطرب، بل وتكثر الألفاظ الدلالة على الاضطراب، والقلق النفسي الحاد مثل "السواكب"، "مزلة" "شارب" إن مثل هذه الألفاظ تعكس الاضطراب الداخلي لروح الشاعر، كما تعكس إحساسا

رهيبا بوطئة التدمير اللاحق للشاعر، الذي يحس بالأسى والمرارة فهو يرى نفسه محروما من أبسط مظاهر الحياة وأدنى مطالبها برغم عبقريته، وفنه، فانطلق يصب صواعق سخطه وغضبه على هذا القدر الذي ظلمه ونال منه، فأخذ صرخاته اليائسة الحزينة يمتلأ سخطا وغضبا ومرارة، ويضمنها أبعاد محنته ومأساة حياته.

لقد رسم لنا الشاعر بريشته المبدعة الخلاقة مأساة بؤسه، وأحزان روحه فبهذه اللوحة الحية النابضة بالصدق والحرارة والدليل على بؤسه ومعاكسة القدر له، أن السماء كانت صافية لا تشوبها شائبة ولا يكدرها كدر وعندما أزمع الشاعر على الرحيل لينال مناله، ويصل إلى مبتغاه من وراء هذا السفر.

حتى تراكمت الغيوم وتلبدت السماء وأكفهر وجهها، فتهاطلت الأمطار وغزارتها وكأنها تتمايل كتمايل الرجل الشارب الذي أثرت الخمرة في رأسه، فلم يعرف إلى أي اتجاه يسير وفي أي أرض هو موجود.

إنه تصوير يدل على مأساته التي تتضح مرارة، وحزنا، وأسى وألما، وهو يرى نفسه محروما من أبسط مظاهر الحياة وقد كتب عليه البؤس والشقاء.

ولا يمل الشاعر البائس من الحديث عن حظه التعس وعن ظلم القدر له، فيصرخ قائلا:

لتعويق سيرى أو دحوض مطيتي

وإخصاب مزور عن المجد ناكب[25]

فهو لا ينسى الدهر الذي ظلمه، وأشقاه حتى أرسل عليه هذه الأمطار الغزيرة لتعوق سيره، وسير راحلته، وهذا دليل على الوعي الكامل بما يجري تحت سمعه، وبصره

من ظلم، وقسوة، واستغلال. وماذا يفعل الشاعر أمام كل هذه الأقدار؟ وهو الحر الصريح، والحساس المفرط الحساسية.

لا شك أنه سيبدو مغايرا وبالتالي متصادما مع واقع يرفضه. واقع أقل ما يقال عنه انه مقلوب، والحياة نفسها تافهة، إنها في الواقع دار شقاء، وبلاء، رغم ما تحمله في مظاهرها من لدائد عابرة، ومتع زائلة، فهذه الأسباب كلها هي التي جعلته يتصف بالتشاؤم والطيرة، بفعل التجارب المريرة التي مر بها.

مرارة التجربة ومعاناة الحياة:

وجربت حتى ما أرى الدهر مغريا

علي بشيء لم يقع في تجاربي

26

التجارب التي مرت على الشاعر جعلت شعره مملوءا بالحكم حيث ((يصبح الشعر رفيق الإنسان في صراعه لتحقيق نفسه، والعثور على حقيقته وحقيقة الكون وما وراء الكون)) [26].

إن ابن الرومي يبقى شخصا غريبا في مجتمعه تمزقه الحيرة والرعب واليأس التي تلاحقه في غدوه ورواحه وكلما قرب من الموت زاد جزعه، وكثر وساوسه، فيقول في هذا:

أرى المرء مذ يلقى للتراب وجهه

إلى أن يوارى فيه رهن النوائب [28]

إن النوائب، الهاجس الوحيد التي تنغص حياة الشاعر، فهو يؤكد تأكيدا صارما. أن الإنسان رهين النوائب منذ ولادته إلى أن يوارى التراب، وكأني بالشاعر هنا يصرخ في وجهه الناس لماذا التعب، والجري وراء هذه الحياة التي كلها تعب وشقاء وحزن.

ولعل هذا الشعور بالغبن هذا الوجود هو الذي جعله يستغرب من هذا الواقع المرير الذي يعاكسه ويكبل حياته ويعوق طموحاته.

ولو لم يصب إلا بشرح شبابه

لكان قد استوفى جميع المصائب

إلى الله أشكو غمة لاصباحها

ينير ولا تنجاب عني لجائب [29]

إن ابن الرومي هنا يمضي في تصويره للحياة، فيجزم أن اعظم ما يصاب به الإنسان في حياته فقدانه لشبابه، ومرحلة الشباب هي المرحلة الحاسمة لدى الإنسان، انه وقوف وانكسار حزين، أمام مصير مجهول ومن هنا لم يجد إلا وسيلة واحدة، تزيل عنه هذا الهم الذي يؤسر قلبه ويمزقه فيتجه إلى الله قائلا:

إلى الله أشكو غمة لاصباحها

ينير ولا تنجاب عني لجائب [30]

الهوامـش:

1. إبن الرومي : الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت ص33، –34
2. الديوان، ص33
3. الدكتور علي شلق: إبن الرومي في الصورة والوجود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر للتوزيع، ص62
4. العقاد عباس محمود: إبن الرومي حياته من شعره، دار الكتاب العربي، القاهرة ط5 1963 ص132
5. نفس المصدر ص133
6. العقاد: إبن الرومي حياته من شعره، ص204
7. الديوان، ص33
8. الديوان، ص34
9. الديوان، ص34
10. الديوان، ص34
11. هوزر أرتولند: فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبدو جرجس، الهيئة العامة للكتب، مطبعة جامعة القاهرة 1968 ص86
12. **Charle boudoen, psychanalyse de victor hyogo, armand colin, Paris 1972 p11**
13. الديوان، ص34
14. جون جاك روسو: العقد الاجتماعي، دار القلم بيروت، د ت، ص30
15. العقاد: ابن الرومي، حياته من شعره، ص214
16. العقاد: ابن الرومي، حياته من شعره، ص238
17. روفت جست: بن الرومي حياته وشعره، ترجمة حسين نصار، بيروت د ت، ص84
18. الديوان، ص34
19. ينظر: محمد النويهي، ثقافة الناقد الادبي، دار الفكر للطباعة، ط2، 1969، ص152
20. **Michel faucaut, Maladie et Personnalite, Paris, PUF 1954p56**
21. الديوان، ص34
22. محمد النويهي: ثقافة الناقد الادبي، ص79
23. الديوان، ص34
24. الديوان، ص34
25. الديوان، ص34
26. الديوان، ص34
27. إيليا الحاوي: إبن الرومي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959، ص275
28. الديوان، ص34
29. الديوان، ص34
30. الديوان، ص34